المحاضرة الرابعة: مصطلح والأديب

الأديب هو الشاعر أو الناثر وقد وردت اللفظة في شعر أوس بن حجر:

أريب أديب أخو مأزق تعايا يخبر بالغائب

وبدأت لفظة الأديب تأخذ مسارا واضحا بعد القرن الثاني للهجرة وأخذت منزلة الأديب تعلو، وسمى **الجاحظ نفسه** أديبا: " وابتعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك، فمر به خادم من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال له: إن الأديب وإن لم يكن ملكا فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك، فانظر أن تخدُمه خِدمة تامة"[1].

وذكر **ابن قتيبة:** "فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط، قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة أو وصف كأس، و أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب، وينظر في شيء من القضاء وحدّ المنطق..."[2].

ثم يضيف ابن قتيبة: "ونحن نستحب لمن قبل عناّ وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شَيْن الكذب، ويجانب – قبل مجانبته اللحن وخطل القول– شنيع الكلام ورفث المزْح"[3].

وهذا يدل على أن الأديب أرفع من ذلك. وقال بعضهم: الأديب من يكتب أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويورد أحسن ما يحفظ"[4].

وليس هذا الأديب الذي يبدع الشعر أو النثر. وقد يطلق على من له ذوق ودراية بالأدب، افتخر الأعرابي بنفسه فقال:

ألا زعمت عفراء بالشام أنني غلام جوار لا غلام حروب

وإني لأهذي بالأوانس كالدمى وإني بأطراف القنا للعوب

وإني على ما كان من عنجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديبُ

---

[1]– الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، ج2، ص331.

[2]– ابن قتيبة (أبو عبد الله محمد بن مسلم): أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 6.

[3]– المصدر نفسه، ص14.

[4]– الصفدي (صلاح الدين): الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ج1، ص5.

وقال **الثعالبي** إن الأديب غير النحوي والفقيه والطبيب والمنجم[1]واشترطوا فيه الموهبة ودعا بشر بن المعتمر في صحيفته المشهورة إلىالأدباء من لا موهبة له إلى أن يترك الأدب ويختار عملا قريبا إلى نفسه"[2].

وقد رسم القدماء ثقافة الأديب –ولاسيما– الكاتب وقالوا إنها واسعة: "ومن أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم"[3].

والطبع من أهم ما ينبغي أن يتصف به الأديب قبل معرفته علوم الأدب، قال ابن الأثير: "اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة، وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلّق بكل علم، حتى قيل: كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول: فلان النحويّ، وفلان الفقيه، وفلان المتكلم، ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول: فلان الكاتب وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن. ومِلاك هذا كله الطبع، فإنه إذا لم يكن ثمّ طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئا، ومثال ذلك كمثال النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا[4].

ويتصل بذلك الذوق فإن "مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم"[5]. وعلى هذا فإذا ركّب الله تعالى في الإنسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات هي:

النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والصرف.

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله من فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب.

النوع الثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم.

---

[1] – اللطف واللطائف، ص33.

[2]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص135.

[3]– ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص208

[4] –ابن الأثير (ضياء الدين) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة،، ج1، ص 38

[5] – المصدر نفسه، ج1، ص 5

النوع الرابع: الاطلاع على تأليفات المتقدمين من أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة، والتحفظ للكثير منه.

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية كالإمامة والإمارة والقضاء والحِسبة*.

النوع السادس: حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه.

النوع السابع: حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال.

النوع الثامن: معرفة علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر، وهو مختص بالناظم دون الناثر"[1].

*– الحِسبة بكسر الحاء = الأجر. من الاحتساب وهو التدبير

[1]– ابن الأثير () المثل السائر، ج1، ص9–10.